تدعيمها أمام الرأي العام العالمي الذي كان يجهل، أو يتجاهل، قدر ومصير شعبنا»[١٠].
وهكذا فرضت حركة التحرر الوطني الفلسطينية المعاصرة على نفسها (وما كان أمامها خيار) أن تخوض صراعها على جبهتين. وبقدر ما أصابت في اختيار وسيلة الصراع وادارته مع إسرائيل، بقدر ما أخطأت في إدارة الصراع مع العرب. ومرد خطئها يعود إلى فهمها للأنظمة العربية، حيث تعاملت مع تلك الأنظمة بشعاراتها، وليس انطلاقاً من فهمها لطبيعة مكوناتها الاجتماعية ومصالحها ككيانات، وفي بعض الأحيان وظفت نفسها في خدمة الأنظمة. ويروي خالد الحسن، عضو اللجنة المركزية لحركة «فتح»، انه اجتمع، بعد حرب ١٩٦٧، إلى وزير خارجية مصر آنذاك محمود رياض الذي «كان ايضاً صريحاً جداً في مشاعره الخاصة، وتوسل الينا أن نقوم ببعض العمليات العسكرية في الأراضي التي احتلتها إسرائيل أخيراً. وقال أن مثل هذا العمل ضروري لتحويل انتباه الجماهير المصرية والعربية. وإذا لم نسلط اهتمامهم على فكرة الكفاح المستمر، فإن الجماهير ستتحول ضد انظمتها»[١١]. وهذا ما جعل حركة التحرر الوطني الفلسطينية حركة تكتيكية، وليست استراتيجية (زارعي قمح وخضراوات وليسوا زارعي أشجار)، مما أكسبها سلوكية سياسية تكتيكية براغماتية، انعكست لاحقاً على ادارة صراعها مع عدوها الصهيوني، فانخرطت في النسق الرسمي العربي (الانتلجنسيا الفلسطينية، باستثناء قلة، في إطار حركة التحرر الوطني الفلسطينية، لعبت دور المطلقين وليس المفكرين، وهذا انعكاس لواقع نشاط الحركة السياسي).

وهكذا، حيث نجحت إسرائيل في دفع الأنظمة العربية إلى شن حروب ضد الفلسطينيين لمصلحة إسرائيل (بغض النظر عن النوايا والدوافع)، فشل الفلسطينيون في تحريك الأنظمة العربية لشن حروب ضد إسرائيل لمصلحة الفلسطينيين. والحرب الوحيدة التي بادرت إليها الأنظمة في العام ١٩٧٣ كانت حرباً لمصلحتها، حيث كان هدفها «التحريك» نحو التسوية مع إسرائيل. وكما قال السادات: «ان حرب اكتوبر [تشرين الأول] كانت حرباً محدودة، تضرب نظرية الأمن الاسرائيلي في الصميم، لادراكنا أن ذلك ستتبعه تغييرات هامة نحو التحرير الكامل للأراضي»[١٢]. ولم يكن يقصد سوى سيناء بكلمة «الأرض»، كما وضح فيما بعد.

مقاتلون من أجل الحرية

يروي موشي دايان عن احد الزعماء العرب الذين اجتمع بهم قوله: «أما بالنسبة للفلسطينيين، فإن ذلك من أعقد المشاكل. واضاف انه يقبل بوجهة نظري القائلة بأن الفلسطينيين يمكن ان يشكلوا خطراً على مستقبل إسرائيل، كما يهددون وضع الملك حسين. لذا يجب التعامل مع هذه القضية بطريقة معقولة، وان على العرب أن يقوموا باتخاذ مسؤولية جماعية بالنسبة للفلسطينيين والاحتفاظ بالرقابة عليهم، واتخاذ اجراءات أمنية يمكن أن تحافظ على سلامة إسرائيل؛ والمشكلة الفلسطينية، قبل كل شيء، هي مسألة عربية، ولذا يجب حلها على يد الدول العربية، وليس من قبل الولايات المتحدة أو إسرائيل»[١٣].

بهذا يمكن رؤية أن ما قامت به إسرائيل ضد الفلسطينيين منذ العام ١٩٧٨ لم يكن يهم انظمة عربية عديدة. فقد وقفت الأنظمة العربية موقف المتفرج مما اصاب منظمة التحرير الفلسطينية على يد الاسرائيليين منذ ما بعد العام ١٩٧٤، بل أن بعضها ساهم بضربها عسكرياً بعد ان فشل في احتوائها سياسياً (سوريا العام ١٩٧٦). واكتفت تلك الأنظمة